تفسير ابن كثير

يقول تعالى مسليا لنبيه محمد صلى ا عليه وسلّم في تكذيب من كذبه من قومه ومبشرا له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والاخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام فإن ا تعالى أرسله بالايات البينات والدلائل الواضحات ولهذا قال تعالى : { بآياتنا وسلطان مبين } والسلطان هو الحجة والبرهان { إلى فرعون } وهو ملك القبط بالديار المصرية { وهامان } وهو وزيره في مملكته { وقارون } وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة { فقالوا ساحر كذاب } أي كذبوه وجعلوه ساحرا مجنونا مموها كذابا في أن ا أرسله وهذه كقوله تعالى : { كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون } { فلما جاءهم بالحق من عندنا } أي بالبرهان القاطع الدال على أن ا D أرسله إليهم { قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم } وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الأمرين وأما الأمر الثاني فللعلة الثانية ولإهانة هذا الشعب ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام ولهذا قالوا : { أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون } قال قتادة هذا أمر بعد أمر قال ا D : { وما كيد الكافرين إلا في ضلال } أي وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا ينصروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال { وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه } وهذا عزم من فرعون لعنه ا تعالى إلى قتل موسى E أي قال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هذا { وليدع ربه } أي لا أبالي به وهذا في غاية الجحد والتهجم والعناد وقوله قبحه ا : { إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد } يعني موسى يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مذكرا يعني واعظا يشفق على الناس من موسى عليه السلام وقرأ الأكثرون { أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد } وقرأ الاخرون { أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد } وقرأ بعضهم { يظهر في الأرض الفساد } بالضم { وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب } أي لما بلغه قول فرعون { ذروني أقتل موسى } قال موسى عليه السلام استجرت با وعذت به من شره وشر أمثاله ولهذا قال : { إني عذت بربي وربكم } أيها المخاطبون { من كل متكبر } أي عن الحق مجرم [لا يؤمن بيوم الحساب] ولهذا جاء في الحديث عن أبي موسى Bه أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم كان إذا خاف قوما قال : [اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك في نحورهم]